مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

مستويات الأدوار الإقناعية للأساليب البيانية في كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب لابن الجوزي(ت 597هـ)

هاجر صالح أحمد أ.د. رحاب لفتة حمود الدهلكي
الجامعة المستنصرية- كلية التربية الاساسية
hajersaleh@gmail.com dr_rehab @Yahoo.com
07711266673 07906192399

المقدمة:

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان. وألهمت من التبيان. كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء..وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ...

البلاغة العربية واحدة من أكثر الفنون إمتاعا وجمالا فهي تحمل كل عبارات المعنى العميق الذي ينطلق منها المبدع في البحث عن معانيه الخاصة التي تنطوي داخل هذه العبارات ، والعلم الحديث استغل الميزة الجمالية التي تتمتع بها البلاغة ليخرج لنا منها فنا قائما بذاته وهو الاقناع ليكون مهارة من مهارات التواصل الانسانية ، والانسان بطبعه يسعى الى استمالة المتلقي نحو طريقة تفكيره وأن السلاح الذي يحارب به الشخص الذي يتقن هذا الفن هو المعرفة القوية بجمهوره ويستخدم تلك المعرفة للحديث بلغتهم والتطبع بأفكارهم ومحاولة توظيفها بما يخدم غايته ومبتغاه اذ تهدف كل عملية تواصلية الى اقناع المرسل باسلوب ممتع وشيق والاسلوب لايكون بالهدف وإنما بالطريقة في ايصال هذا الهدف وهنا يبرز دور البلاغة في ايصاله عبر استخدام مجموعة من الاساليب الامتاعية البليغة التي تجذب قلب السامع او القارىء قبل عقله ، تكمن اهمية الدراسة هو دراستنا لكتاب من التراث العربي وتحليله وفق الدراسة الحديثة، وعلى هذا فقد تمحور البحث حول (مستويات الأدوار الإقناعية للأساليب البيانية في كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب لإبن الجوزي(ت 597هـ).)، وستكون دراستي على الشكل الآتي، إذ سيتم البدء بالاستعارة لما تمثله من كونها مركزًا مهمًا للإقناع ومن ثم التشبيه ، وأخيرًا تطرقت إلى الكناية وهذه الأساليب كلها تصب في تحليل عينات مختلفة من كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب. الباحثة

مستويات الأدوار الإقناعية للأساليب البيانية في كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب لابن الجوزي

تتضح الأدوار الإقناعية في العديد من الأساليب البلاغية، ولإظهار مكانتها ينبغي الغوص في غمار علم من علومها وهو (علم البيان)؛ لأن التغيير الذي عرفته البلاغة (البلاغة الجديدة) يرتكز على استعمال العلوم القديمة في إظهار قيمتها الإقناعية وتوضيح معالمها الحجاجية التي تصب نحو المتلقي وتجعل من الخطاب ميداناً لحدوث التأثير المقصود وتشكيله ويمتلك البيان خاصية التحول لأداء أغراض ومقاصد تواصلية تداولية وأبعاد إقناعية. وقد وردت لفظة البيان لغة عند ابن منظور بقوله:((بأن الشيء وأبان، إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان، أي: أوضح كلاما منه، وكلامًا بيّن: أي فصيح))[1]. اما في الاصطلاح فقد عرَّفه الجاحظ (ت255هـ) نظرًا إلى مفهومه اللغوي

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، لبنان، 1968م مادة(بين)،ج1 ، ص68.

بأنه:((اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب، دون الضير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته...))[1]. أما عبد القاهـــر الجرجاني(ت471هـ) لقد أورد في كتابيـــــه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) عبارة(علم البيان) بقوله:((إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلًا وأسبق فرعاً من علم البيان الذي لو لام لم تر لسانك يحوك الوشي ويصوغ الحلي))[2]، وبهذا القول يقسم الكلام على حقيقة ومجاز، إنَّ المتعـــارف عليـــه المجـــاز أبلـــغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في النفس لكون الحقيقة تؤدي إلى اليقين، في حين أن المجاز يؤدي إلى الافتراض الذي يجلب معه النقاش والجدل وصولا الى الإقناع[3].على ضوء هذه التعريفات نكون قد وصلنا إلى مفهوم البيان بين يد النقاد والبلاغيين، وقد لحظنا كيف اختص المفهوم بعد أن كان واسعاً مع الجاحظ، فقد بحث هؤلاء العلماء في مفهوم السحر البياني وأثره في الأدب مع اختلاف المسميات التي اطلق عليه. ويتضح أن البيان يشكل ثروة لغوية فيأتي المعنى الواحد بطرق وأساليب شتى وهو وسيلة من وسائل التصوير الأدبي والخلق الإبداعي عبر فنونها المتعددة، وما هو معروف أن أدبنا العربي زاخرًا بتلك الصور البيانية التي تتمثل في كتابنا(المورد العذب في المواعظ والخطب) للخطيب ابن الجوزي، إذ احتوى على العديد من تلك الصور مثلها عبر أساليبها بدلالات عميقة ومعقدة، ويمكن أن نقول: إنَّ الخطيب قد صنع لغة داخل لغة وعبّر عن أدبه بلغة انزياحية رمزية. والبيان فن تداولي يعطي للقول دلالة وقوة في التأثير النفسي واقناع وان الصور البيانية تتمركز حول الجانب الإقناعي والمجازي الجمالي للخطاب الذي يجمع الجانب التخييلي والتداولي سواء أكان بالتشبيه أم الاستعارة أم الكناية.وفي هذا الفصل، سأحاول من خلال دراستي للأساليب البيانية وإبراز أدوارها الإقناعية أن تكون الدراسة على الشكل الآتي، إذ سيتم البدء بالاستعارة لما تمثله من كونها مركزًا مهمًا للإقناع وأهم آلياته البلاغية التي وردت في نصوص ابن الجوزي الأدبية، ومن ثم تطرقت إلى التشبيه لما يمثله كتاب ابن الجوزي من صور وافرة زاخرة بهذا اللون، واقتصرت على أهم الأساليب التشبيهية الواردة في كتابه، وأخيرًا تطرقت إلى الكناية وما فيها من رموز وأخيلة شكلها اديبنا بأسلوبه البياني البليغ وهذه الأساليب كلها تصب في تحليل عينات مختلفة من كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب.

المبحث الأول

الدور الإقناعي للاستعارة

تُعدُّ الاستعارة من الموضوعات التي نالت حظوة العديد من العلماء لما لها من قابلية على أداء أكثر من دور، ونرى أنها تحتل المكانة المرموقة سواء أكان على الصعيد الذي يهتم بالخطاب وإحالة النص إلى الإقناع أم الذي يميل إلى التخييل والجمالية القولية، وقد شكلت الاستعارة دورًا إقناعيًا في الكثير من وظائفها وإنَّ عملية التخيل التي تتقنه عملية الاستعارة تنجز ما لم تنجزه اللغة الحقيقية وبين جنبات أسلوب التخيل يمارس الكاتب سطوته اللغوية ويحتال لإثبات المعنى واقناع المتلقي بما يراه هو لا بما ينبغي ان يقتنع به، وتعرّف الاستعارة لغة بأنها:((العارية : ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه ، والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين

---

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،مصر، ط1، 2010م ج1، ص706.

(2) دلائل الإعجاز، الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 5 ،2004م ص 5-6.

(3) ينظر: عندما نتواصل نغير، عبد السلام عسير ، افريقيا الشرق، المغرب،دط، 2006م ص 209.

اثنين...))[1]، وبمعناها اللغوي تعني نقل الشيء من حيازة شخص إلى شخص آخر لأجل الإفادة والانتفاع.وفي الاصطلاح قد عرَّفها الجاحظ (ت255هـ):((تسمية الشيء باسم غيره، إذا قام مقامه))[2]. ولم يخرج الجاحظ من بوتقة التعريف اللغوي.أما الجرجاني(ت471هـ) عرَّفها بأنها:((أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية))[3]،.تكمنُ فاعلية حجاجية الاستعارة بالتأثير على الأذهان والإفهام لاسيّما في كون بعض الخطابات الأدبية ترتكز على الحجاج الذي يتطلب اختيارت صحيحة ومقنعة في تقديم الحجج، فنرى أن الاستعارة ترتبط بالجانب المجازي الذي يضمن بقاء الجمالية التي لها القدرة على تحريك وجدان المتلقي هذا من جانب ومن جانب توظيفها الاستدلال العقلاني[4]، إذ تحقق الغاية من الحجاج سيرًا به نحو نجاح الوظيفة الإقناعية لكون اللغة الاستعارية تحمل قيمة عن لغة الشعر أو الأديب، إذ تكمنُ عن طريق الإثبات وكأن المتكلم يتلطف ويحتال ويتلاعب في تأدية المعنى. ومن هنا لم تكن المزية في أصل المعنى، وإنما في الطريقة التي تثبت بها المعنى .وإذا كان الإقناع يمرُّ عبر قنوات كثيرة تناولنا عددًا منها فيما سبق فإن البيان وما تمثله الاستعارة البلاغية من أهم هذه القنوات في الأسلوب الخطابي وهو أمر أكدته البلاغتان القديمة والحديثة، فقديمًا وقف أرسطو على أهمية المجاز في الخطابة واشترط فيه التوسط والاعتدال وناقش التشبيه والاستعارة، إذ عدّهما آيـــة الموهبـــة[5]، وأبرز الخصائص التي تجعل منهما التي من آليات الإقناع. وفي البلاغة العربية تناول الجرجاني الاستعارة والتمثيل تناولًا تداوليًا حِجاجيًا، كما عدَّ السكاكي الصورة خطابًا للاستدلال، وأكد ذلك حازم القرطاجني(ت684هـ) بعدها مبدأ المزاوجة بين المعاني المقنعة والمعاني المخيلة في القول الخطابي مبرزًا أهميته في تجويد النشاط وتحصيل الغرض من الكلام[6]. أما حديثًا فقد ذهب جون كوهين إلى الاعتداد بها لكونها((المنبه الأساسي لكل قول هومجاز المجازات هو الاستعارة))[7] .وتأسيسًا على هذا هذا الطرح، نلتفت إلى قيام الاستعارة على مبدأ الادعاء[8] الذي يجعل منها عملًا حِجاجيًا يصبُّ نحو إقناع المتلقي، وما يهمنا هو بيان دوران الاستعارة في فلك نقل العبارة عن موضع استعمالها التي وضعت من أجله بحكم التشابه والتقارب، نظرًا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج9، ص449.
(2) البيان والتبيين، الجاحظ، ج2، ص153.
(3) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني-القاهرة، ط1، 1991، ص31.
(4) ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن مودن، دار كنوز المعرفة، الأردن – عمان، ط1، 2014،ص 725.
(5) ينظر: في الشعر، أرسطو طاليس، تر: عياد شكري محمد، دار الكتاب العربي، مصر، 1967، ص128.
(6) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الادباء ،حازم القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب بن الخوخة وتقديمه،دار الغرب الاسلامي،لبنان ،1986، ص136.
(7) بنية اللغة الشعرية، جون كوهين، تر: محمد الوالي، محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ط1، 1986، ص170.
(8) مفهوم الادعاء له ثلاث مبادئ هي: مبدأ ترجيح المطابقة ومقتضاه أن الاستعارة ليست بالمشابهة بقدر ما هي في في المطابقة، ومبدأ ترجيح المعنى ومقتضاه أن الاستعارة ليست باللفظ بقدر ما هي في المعنى، ومبدأ ترجيح النظم ومقتضاه أن الاستعارة ليس في الكلمة بقدر ما هي في التركيب. ينظر: التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1998 ص305.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

القارئ، وهذا ما تطرق إليه طـــه عبد الرحمن في قوله:((العلاقـــة الاستعاريـــة هي أدل ضروب المجـــاز على مـــاهية الحجاج))[1].

وقد أكد هذا القول ريكور عندما اهتم بالاستعارة وأعطى لها مكانة مهمة في الحجاج قائلًا:((إنَّ الاستعارة تحتفظ بفكرتين في آن واحد لأشياء مختلفة ونشطة داخل الكلمة والعبارة البسيطة ذات الدلالة التي هي المحصلة الاساسية لتفاعلها... واذا كانت الاستعارة مهارة وموهبة فانما موهبة فكرية والبلاغة ليست سوى انعكاس وترجمة لهذه الموهبة داخل معرفة مميزة))[2].ونرى ان المساحة التي فتحها ريكور للتحكم في هذه الموهبة تفتح الافاق نحو تنويع الأساليب والعبارات لإبراز البُعد الحِجاجي الأساس للاستعارة داخل الخطاب، ونلحظ أن القول يؤكد فكرة التداول والاستعمال التي تُعدُّ قاعدة رئيسة لفهم المعاني.على ضوء ما تقدم نرى اجتهاد الدارسين في التمييز بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية، فالأولى توظف في الخطاب التواصلي مقترنة بحجج ذات وظائف إقناعية تتخذ من ذهن المتلقي هدفًا لها ذلك أن((القوة الحجاجية في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عن استخدامها لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي))[3] أما الثانية فهي تستعمل لغرض تزيين الخطاب وإضفاء الجمالية خالية من ارتباطها بأهداف موجهة للمتلقي، ويعمد المخاطب إلى توظيف هذه النوع من الاستعارة لإبراز تمكنه من سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، إذ يبتعد عن سياق الخطاب والتواصل الذي يُعدُّ الأساس في الاستعارة الحِجاجية[4]. وهذا التفريق يدلُّ على المسارات التي اتجهت لها الاستعارة في العصر الحديث .صفوة القول: إنَّ الاستعارة لم تَعد حيلة لفظية فحسب، إنما ((هي من أحسن وسائل التبليغ التي توفرها للمتكلم ليقنع المتلقي))[5].إنَّ ما يسهم في بناء الخطاب الوعظي الإصلاحي هو اتكال المرسل/ الباث على صبغة من الأدوات البيانية متسلحًا بها؛ ليحقق الهدف بدءً بالاستعارة وصولًا للتشبيه والكناية، وهذه الأساليب كلها تصب في تحليل عينات مختلفة من كتاب المورد العذب في المواعظ والخطب. ونرى أن خطابات ابن الجوزي جاءت زاخرة بهذا العلم في كتابه، إذ ركَّز فيه على الصورة التي تحفز المتلقي وتثير إحساسه، كما هو معلوم أن الخطب هي لإقناع الناس ولاسيّما الذين مالوا كل الميل ويأتي الخطاب إلى اقامة الحجة وتثبتها لاستمالتهم، وإن خطاباته جاءت بعيدة عن التعقيد والتعمق معتمدة على التنويع؛ لأن غايته ليست في إبراز القدرات باختيار أبلغ العبارات وإنما إصلاح ووعظ والنهوض عبر رسالة واضحة وصريحة موجهة للجمهور عامة.وبعد استقرائنا للخطب الواردة في كتابه خلصنا إلى تعدد أدائها الإقناعي غير

---

(1) سان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، ص233.

(2) الاستعارة الحية، بول ريكور، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2016، ص 105-106.

.106

(3) الحجاج في التواصل، فيليب بروتون، ترجمة: محمد مشبال عبد الواحد التهامي العلي، المركز القومي للترجمة، للترجمة، مصر، ط1، 2013، ص122.

(4) أبو بكر العزاوي، اللغة والحِجاج ، ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر،لبنان، ط1، 2010، ص109.

ص109.

(5) خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2014م: 283.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

أننا وقبل أن نبدأ الحديث عن هذه الأساليب البيانية والتدليل عليها بمجموعة من الشواهد سوف نسجل عليها ملحوظات مهمة مفادها أن جل الشواهد التي تم تناولها بالتحليل والمناقشة تؤدي وظيفة إقناعية واحدة فقط تنفرد بها من دون غيرها من الوظائف بل لحظنا أن هذه الوظائف تتداخل في الغالب على أكثر من وظيفة في نسب متفاوتة تختلف من صورة الى أخرى وذلك يتضح في قوله:**((يا من تنعم في ليل الهوى متى يبدو من التوبة الصباح يا من غره الشباب هذا فجر المشيب لاح اتلفت قوتك في الصبا وفي الكبر ترجو الصلاح يا كهول البطالة قص الهرم من عزائمكم الجناح أملك في الهند وربما كان نعشك عند الصباح))**[1].

يقوم الخطاب على الافتتاح بأسلوب لغوي (النداء) ليورد مجموعة من الخروقات المجازية المتمثلة بالاستعارة الواردة بأكثر من موضع التي تفتح للمتلقي دلالات متعلقة بغاية الخطيب وتمثلت على مجموعة من الاستعارات المكنية القائمة على التجسيد[2] في قوله (متى يبدو من التوبة الصباح) والمعلوم ان الاستعارة تقوم على شبه بين معنيين فقد استعار التوبة للصباح بمعنى الوقت الذي حان للمسلم الاستيقاظ من الغفلة ليسمح للتوبة أن تهل عليه في الصباح، والثانية المرتبطة بأسلوب النداء المتكرر القائم على الطباق الايجاب بين(الشباب) و(المشيب) وبين(الصبا) و(الكبر) ليعكس حال المنغري بالحياة الدنيا من دون دراية يرى فجر المشيب قد انقضى فقد استعار المشيب للفجر، والثالثة المتمثلة بـ (كهول البطالة)، إذ استعار الكهولة للبطالة والكهولة هو العمر بين الفتوة والشيخوخة ليربطها بالبطالة التي تنص على انعدام العمل وجمع الرصيدالدنيوي.ويستمر ابن الجوزي في خطابه باستعارة مكنية التي تحمل دلالة فوات الأوان (قص الهرم من عزائمكم الجناح)، وهنا تناص ديني[3] لقوله تعالى: **﴿ اخفض لهما جناح الذل من الرحمة }**[4]، إذ استعار الجناح الذي قص العزيمة للهرم بمعنى شاخ وبلغ اقصى الكبر ويختم خطابه على الأمل الزائف والتأجيل المتساوف الذي يصيب الإنسان وسرعة مرور الوقت، إذ نراه يخطط ليجول البحار ويعبر الاقطار ولا يعلم ان المنية تنتظره في الصباح. إنَّ الاستعارة الواردة في الخطاب تحمل غرضيين إقناعيين: الأول غرض إقناع المتلقي في اليقظة من الغفلة. والآخر بيان أهمية الوقت الذي ينقضي من دون تفكر وتدبر. وهذه الدلالات التي جاءت عكست الطاقة الحِجاجية للاستعارة عبر علاقات المشابهة التي نتجت لنا صور جديدة مقترنة بعمليتين وهما(الخيال والإقناع) .

ومن خطابات ابن الجوزي الإقناعية التي برزت فيها الاستعارة قوله:**((الحمد لله الذي تعرف الى اوليائه بنعوت الجمال فعرفوه ودلهم عليه فرافقهم بالأنس فألفوه ونعمهم بالانس فعرفوه حمى إقليم قلوبهم من طرائق الغفلة لئلا يطرقوه احرزوا حاصل العمر في صندوق الاخلاص وختموه تفقدوا دقيق أعمالهم من أخلاط الخطايا وصححوه خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة فيما ائتمنوه نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ما طلبوه والمحروم في تيه الحرمان أحرموه وما رحموه**

---

[1] **المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي،تحقيق د.اروى سمير مجذوب،دار التبيان للطباعة والنشر، لبنان،2013م. ص66.**

[2] **التجسيد: وهو إبراز الماهيات والأفكار العامة والعواطف في رسوم وصور وتشابيه محسوسة. ينظر: المعجم الأدبي، عبد النور جبور، دار العلم للملايين ، لبنان، ط1، 1979، ص59.**

[3] **التناص الديني: وهو وصف لادخال نص قرآني في آخر مما يمكن المتلقي من معرفة حدود النصين مما يدفع الخطيب خلق رموز جديدة واستعارة لغة دينية وآيات قرآنية وقد اكثر ابن الجوزي في توظيف التناص القراني حتى عد المصدر الاساس في تشكيل صوره الشعرية . ينظر: معجم علوم العربية، محمد التونجي، دار الجيل، لبنان، ط1، 2003، ص158.**

[4] **سورة الإسراء: الآية: 24.**

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

وأخجلته في المحشر وسرابيل الذل البسوه {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}[1]يا من اتعب نفسه في طلب الفاني وهو راحل اما شاهدت حادي[**] الجديدين[***] يطوي من العمر المراحل اما ترى الليل والنهار يحملان الأعمار بالرواحل))[2].تهدف الاستعارة في هذا الخطاب إلى تأكيد المعنى الإقناعي وإثباته عند المتلقي، إذ يبدأ الخطيب بالثناء والحمد في بيان عظمة الخالق ليوضح العلاقة بينهم التي منحت المتلقي شعور البهجة والاطمئنان من رحمة الله سبحانه وتعالى، إنَّ اختيار الألفاظ الواردة في الخطاب ليست اعتباطية إنما هدف منه أن يبث المسرة ليكسب حسن استماعهم للحجج الإقناعية التي سيوردها، وأولى هذه الحجج جاءت بصيغة الأسلوب الاستعاري(حمى اقليم قلوبهم من طرائق الغفلة)، فقد استعار للقلب لفظة(الإقليم) وللغفلة لفظة(طريق) ليبين حماية الله تعالى لهم ورحمته به وإنها ليست كرحمة المخلوقات اذ حمى قلوبهم بسور من الغفلة. ثم ينتقل إلى إيراد استعارة مقترنة في بيان الصالحين الذين أخلصوا قلوبهم وجردوها من المغريات (أحرزوا حاصل العمر في صندوق الإخلاص)، فقد استعار وضع العمر في الصندوق بمعنى التحكم والثبات ويدرج مجموعة من صفاتهم عبر مواضع استعارية عدة مثل قوله(تفقدوا دقيق اعمالهم من اخلاط الخطايا)، وهذا الخطاب يُعدُّ تكميلاً للخطاب الذي سبقه، فالإنسان الصالح بعد أن ضم عمره ووضعه في صندوق يأتي دور الفصل بين العمل الخالص والعمل الذي يحمل الخطايا ليعزل الجيد من الرديء ويوضح حفظهم للأمانة ليذر لنا الثواب الذي نالوه من محبوبهم(الله تعالى) .يصوّر لنا الشطر الآخر من المخلوقات وهو(المحروم) ويبين الخطيب حاله عبر الاستعارة المكنية(سرابيل الذل البسوه)، إذ استعار للسرابيل(كل ما يلبس من قميص أو درع) الذل ليبين هيئة الذي يخجل من فرز أعماله يوم المحشر(يوم القيامة). ويختصر الصنفين من المخلوقات في تناص ديني﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾[3]، إذ يبيض وجوه أهل الجماعة ويسود وجوه أهل البدعة والفرقة. ثم ينتقل إلى نداء حاد اللهجة محاولة منه لجذب انتباه السامعين نحو الكناية عن موصوف المتمثلة في لفظة(الجديدين) هما الليل والنهار والاستعارة المكنية التي سيوردها فيقول:(الليل والنهار يحملان الأعمار بالرواحل)، إذ استعار حمل العمر لليل والنهار ليوضح مفهوم الزمن عبر تعاقب الليل والنهار. ما يجب التنبه إليه هي أن خطابات ابن الجوزي قائمة على علاقات المشابهة القائمة على التداخل في الأساليب البيانية وإن الخطاب بأكمله يُعدُّ خطابًا توجيهيًا وعظيًا قائمًا على مجموعة من الأمثلة المتنوعة التي تهدف إلى الإصلاح التي جاءت عبر أسلوب التعبير البياني(الاستعارة)، إذ استعان بها الخطيب لبلوغ غاياته الإقناعية ضمن التركيب الخطابي .

المبحث الثاني

الدور الإقناعي للتشبيه

يصنف التشبيه ضمن اركان علم البيان ونجد له مدلولات في المعنى اللغوي عدة إذ يعرف لغة بأنه:((الشِّبْهُ والشبهُ والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء: ماثلهُ، وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد منهما صاحبه. وشبهه إياه وشبهه به مثله، والتشبيه: التمثيل))[4]. أما في الاصطلاح، فقد عرَّفه الجرجاني بأنَّه:((قياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول. وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان))[5].ويُعدُّ التشبيه من الآليات البلاغية التي يستعملها الباث(المرسل)

(**) حدا لشيء يحدوه حدوا : تبعه. لسان العرب، ابن منظور، (حدا)، ج14، ص168

(***) الجديدان هما الليل والنهار. لسان العرب، ابن منظور، مادة(جد)، ج3، ص111.

(1) سورة آل عمران، الآية:106.

(2) المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي ، ص78.

(3) سورة آل عمران، الآية: 106.

(4) لسان العرب ، ابن منظور، مادة (ش ب ه) ،ج4، ص 2189-2190 .

(5) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 20.

للوصول بالمستقبل (المرسل إليه) إلى الإقناع، إذ يعمد إلى توظيف طرق عدة مثل التلاعب ببعض الكلمات ليحقق الاستمالة فضلًا عن تحقيق الجمالية التي يرتكز عليها التشبيه التي بدورها تجذب الأذهان لأن النفس البشرية جبلت على حب سماع الجميل من الكلام حتى وإن كان بهدف التأثير. إنَّ جميع أنواع التشبيه باختلاف صورها وصياغتها تشتمل على وظيفة حجاجية ذات دوافع إقناعية، إذ يتوسل بها المتكلم إلى الوصول إلى أهدافه الحجاجية لما له من قدرة على الإقناع عن طريق الفعل بجماله والتأثير في المتلقي بسحره، فـبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصّع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصدور [1]. وتعتمد هذه الجماليات على اللغة الانزياحية في التلاعب بمدلولات الألفاظ وجعلها تحمل مدلول مغاير، فضلًا عن اشتمالها البراهين القاطعة على ما يحرك المشاعر، فلا تنزل باشتمالها على تحريك المشاعر إلى مستوى الحجج الخطابية، بل ترتقي إلى مستوى الجمع بين الحجة المنطقية ومثيرات المشاعر النفسية[2]، ولا يشترط بالصورة التي يعتمد عليها التشبيه:((أن تفيد حكما راجحا، بل قد تعتمد على مقدمات وهمية وصور كاذبة لا تخفى على المخاطَب، إلاّ أنها تشتمل على ما يتلاعب بمشاعر المخاطَب النفسية، فيتأثر بها ويستجيب لمضمونها، وقد يكون عالمًا فكريًا بعدم صحتها))[3] اذ يحمل التشبيه قوة تماثل الاقناع الخطابي و تكمن قوته في تقديم صور مماثلة للعقل فضلا عن امتثاله بالغاية منه وهو الاقناع فنرى المتلقي يستلم للحجة فور ما يتعرض لها[4]،.فالتشبيه إذًا قوة إقناعية تترسخ في الطابع التفاعلي التي تكمن في تقديم وتهيئة صور للمتلقي ليسلم للحجة عندما يتعرض لها. وظف ابن الجوزي هذه الآلية البلاغية في خطاباته لتقريب المعنى للمخاطب ويرد بنماذج مختلفة وصور انزياحية تحمل أبعاداً إقناعية وخطبه زاخرة بأهداف جلّها تصب على تغيير موقف الجمهور. وقد تميزت صوره التشبيهية بتعدد أشكالها وأنواعها فلم تقتصر على تشكيل صوري واحد بل عددت الأشكال والأنواع وأضفى عليها طابع متنوع وحيوي، إنَّ بعض الصور جاءت مشكلة للصورة مع الأداة ووجه الشبه، بينما الآخر جاءت مطروحة للأداة وقد تستغني عن وجه الشبه فتقوى حينئذٍ الصورة التشبيهية وتترك للقارىء الحرية في التأويل مما يزيدها عمقا دلاليًا. ومن هذه الصور القائمة على التشبيه قول ابن الجوزي **:((بصرك أعمى، وعزمك مقعد وفهمك أطرش وخاتمة الشقاء الحرمان، اذا لم تتيقظ بالراحلين فعن قريب تلحق خبر كان هذه قبورهم، وهذه قصورهم، وكأن ما كان، ما أفصح خطاب القبور لمن يسمع بالقلب إلاّ بالاذان هذه عساكر الموتى ينتظرونك، يا مضيعا طيب الزمان، ما ينفعك بعد الموت اعتذار، ولو أجريت المدامع طوفان، اذا لم يلينك وعظي فأنت خشبة لا تلين إلاّ بالنيران))**[5]. يفتتح الخطاب بالتشبيه البليغ وهو:((التشبيه الذي حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه))[6]. والتشبيه الذي اتخذه ابن الجوزي كوسيلة للإقناع عبر تشبيه البصر بمعنى الرؤية بالانعدام والضلال وتشبيه العزم بالمقعد بدلالة المصاب بداء الجلوس وتهاونه في عبادته وقلة حيلته عن مصارعة رغباته ، وتشبيه الفهم بالاطرش بدلالة فاقد الاستماع للحق، وهذه التشبيهات قائمة على احدى اساليب التشبيه البليغ وهو

---

[1] ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت911ه)، دار القدس، القاهرة، ط1، 2009 ، ص 252.

[2] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط4، 1993.ص 303.

[3] المصدر نفسه ، ص 302.

[4] ينظر: الاقناع في كتاب البيان والتبيين، فالح عبد الله شلاهي، اشراف أ.د.عبد الباقي بدر الخزرجي ، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، 2016، ص149.

[5] المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي، ص334.

[6] المصباح والسفينة (دراسة في التشبيه البليغ في كتاب نهج البلاغة للامام علي(عليه السلام)،عبد الهادي خضير، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق، ط1، 2018، ص17.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

المبتدأ الذي يقوم بدور المشبه ويعطي الخبر دور المشبه به[1] . ثم يعرج على التشبيه البياني بأسلوب آخر متل الشرط اللغوي بالأداة (إذا) الذي دلَّ عليه عقوبة تأجيل اليقظة وانعدامها ودلت عليها التشبيهات المتكررة ثم يعود الى توظيف التشبيه المرسل بالاداة(كأن) ليقارن بين القصور والقبور وفناءها و ويكرر في خطابه اعتماده على التشبيه البليغ عبر توظيف اسم الإشارة (هذه) وتشبيهها بعساكر الموتى بمعنى الجنود المقتادين للحطام. ويختم خطابه بتشبيه(المدامع) (بالطوفان) في دلالة غزارة الجريان . ويوضح الحجة الأخيرة التي تُعدُّ نواة الإقناع وهي (الانتفاع من وعظه وتشبيه المخاطب بالخشبة الجماد الذي يكون حطب لجنهم) وهذا يعود بنا إلى بداية تشبيهات الخطاب التي تدلُّ على ضرورة كشف الرؤية وتجديد العزم والفهم .

يمكن تمثيل التشبيه البليغ بالمخطط الآتي:

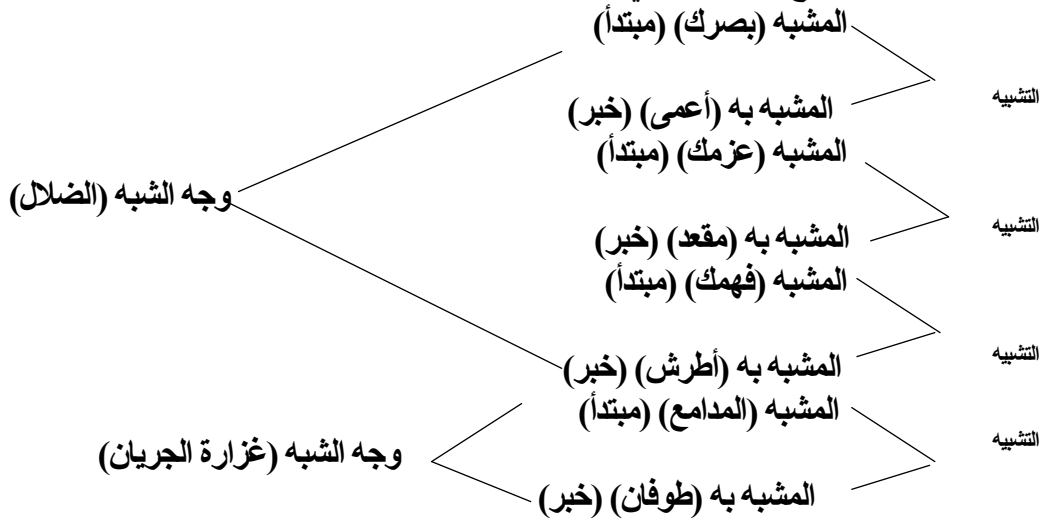

يرتكز ابن الجوزي في دعم حجته على التشبيه المرسل القائم على الإقناع ويقول:**((زين وجنات خدود الرياض بنثرات الزهر بأبيض وأكحل واصفر وأحمر كالجلنار[*] نضـــد حدائق الروض بصنوف النبات فراق رونقه للبصائر والأبصار، جست أنامل الصبا عيدان الشجر فتداعبت لمجاوبتها قينات الاطيـــار فالزبر[**] كالبلابل، والمثاني كالفواخت[***]، والمثالث[****] تحاكي بنغمتها الهزار[*****] ... فلله در العارفين حرمت اجفانهم طيب الكرى فلهم بالليل تهجد واستغفار، قرأوا أدلة البقاء في ألواح الفناء وفهموا أسرار الأدوار ﴿ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الابصال }[2]))**[3]. يغلب على الخطاب اعتماد الخطيب على العامل النفسي اذ جعل من الألفاظ الانزياحية تهيمن على المتلقي، إذ يدخل في جو عام يساعد الباث/المرسل في بيان الغاية الإصلاحية بأسمى صورة من أجل تغيير حاله إلى الأفضل، وهذا واضح لأن الخطاب بأكمله يعتمد على لغة خطابية مباشرة. ويتوزع الاقناع على غايات ضمنها الغاية العاطفية التي تعتمد على استعمال الشعارات والرموز. يرد التشبيه المرسل:**((هو ما ذكر فيه الأداة))**[4] في العديد من المواضع (كالجلنار)

---

(1) ينظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 1985، ص82.

1 سورة النور ، الآية: 44.
2 المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي،ص513-514..
(4) البلاغة الواضحة، علي الجرامي ومصطفى أمين، دار المعارف، مصر ،ط2، 1957،ص22.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

(كالبلابل)- (كالفواخت)- (كأنـــه بيت عطـــار)، أداة التشبيه المكررة (الكاف) و(كأن)، إذ تعقدان بأكثر من موضع وكأن تختلف عن الكاف في كونها((أبلغ من الكاف في الدلالة على إلحاق المشبه به فهي تستخدم فيما يرى البلاغيون حيث يقوى الشبه بين الطرفين حتى يوشكان أن يكونا شيئًا واحدًا))[1] يتكل الخطيب عليها في بيان التكريم الذي ناله سالكو طريق المعرفة وهذه جله يتركز ضمن أسلوب الترغيب المعنوي وتحديدًا الآخروي، إذ يوضح وجه التعظيم والاستحقاق، واعتماده على الوضوح في النص لكون التشبيه المرسل قائم على الإظهار حتى سمي (مظهر)[2] لكونه يظهر اداة التشبيه اذ يعمد على اقامتها واسطة بين المشبه والمشبه به فدلالة السياق الذي ورد به التشبيه المرسل يدلُّ على وعد الله عزَّ وجلَّ أوليائه الجنة دار السلام، فالاختيار يقع على عاتق النفس أي الطريقين تسلك. وهذه صورة من صور التفخيم والتعظيم لقدرة الخالق لأنه فيه زيادة للثقة والطمأنينة والقناعة تقع في الشيء المعظم والمقدر في نفوس المقنعين[3]. فالخطيب بصدد الاخبار عن النعم وطبيعة اختلاف وافضلية العيش في الجنة والزهد عن الدنيا، إذ إنها حجة لتنكيت حجد المتلقي لان لوصف المشتمل على التشبيه يحدث الأثر في القلب لا العقل. ويضمن الخطيب لفظ المثالث ومعناها أن القرآن على ثلاثة أجزاء: قصص وأحكام وصفات الله تعالى، وهذه اللفظة تُعدُّ مرادفة للفظة الزبر التي تدلُّ على تكاتف الأديان وتراحمها وحسن منزلتها. فالصورة الحِجاجية الواردة في النص تحتمل التعميم والتخصيص الاول في كون الخطاب مختوم بآية من سورة النور التي تشير إلى تقليب الليل بالنهار، أي أن يأتي بأحدهما بعد الاخر بمعنى تغيير النهار بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس مرة أخرى، وهذه عبرة موجهة لكل من يملك البصر في رؤية هذا التعاقب وهذه صلاحية لإقناع الجمهور بشكل عام. أما التخصيص نراه موظفاً بكل الضمائر الغائبة في النص وفيه اقناع للجمهور الضيق الذين نالوا ما قدموا.

ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الاتي:

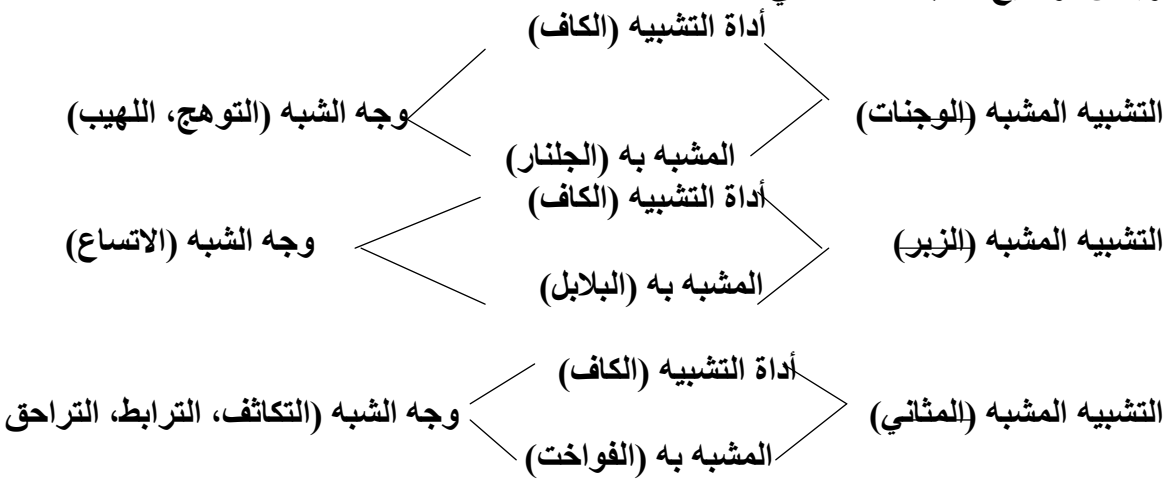

ولا يخلو كتاب ابن الجوزي من التشبيه التمثيلي الذي يحمل رسائل للتبليغ بغض النظر عن الناحية الجمالية للصور البيانية، إذ يقول :((**لاطفهم بأنسه مثل ما يلاطف الخليل خليلًا، فجر في قلوبهم**

[1] الصورة البيانية في الموروث البلاغي، حسن طبل، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، 2005، ص48.
[2] علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص81.
[3] أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، طه عبد الله السبعاوي،دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص126.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

وادي الحكمة فشربوا منه علمًا جليلًا، خلصهم في مخلصة الإخلاص وكان بهم في توكلهم كفيلًا، سبقت لهم سابقة الحسنى فذلل لهم المطلوب تذليلا، وابقى المحروم في تيه الغفلـــــة غلبت عليه الشقاوة فبقي ذليلًا عميت عليه السبل فإن سلك لم يجد زادا ولا مقيلا(*)، بهذا جرى القدر فما يصنع من القي في بحر الطرد قتيلا، قرب سلمان(**)، وأبعد أبا لهب(***)،))[1].

تتجلى صورة التشبيه التمثيلي بأداة التمثيل(مثل) في بداية الخطاب يشرح ملاطفة انس الله سبحانه وتعالى بالبشرية مثلما يلاطف الخليل خليلا والخليل هو الصديق الخالص الودود والمعروف ان خليل الرحمن هو سيدنا إبراهيم فالتشبيه هو (الإنسان) وأداة التشبيه مثل والمشبه به (الخليل) ووجه الشبه القرب وحب الخير والوفاء وان انعقاد التمثيل بين الصورتين تحمل ابعادا حِجاجية لإقناع متلقيه بالكيفية التي يتم تعامل الله سبحانه مع البشر، إذ حاول ابن الجوزي أن يصل عبر رسم صورته الى الاقناع الذي يعد محور النص أن يكشف لنا عن الاحداث التي مر بها والتي تمثلت بالحسنى هي الجنة بمعنى أن الذين سبقت لهم منا سابقة السعادة الحسنى أي من أهل الجنة وإنهم مبعدون عن النار فلا يدخلونها ولا يكونون قريبين منها ، وهذه إشارة إلى حسن منزلتهم، وان فلسفة التشبيه التمثيلي تتضح من الترابط بين كل الصور.لقد استعان ابن الجوزي بشخصيتين قامتا على المفارقة[2] الواضحة الأولى تمثلت بـــ (سلمان) الذي كان عالمًا زاهدًا والأخرى بـ (أبي لهب) الذي كان أشد عداوة للمسلمين، إذ كبر عليه ان يتبع دين نبيه والمعروف عليه انه آذى انصاره وقاتلهم وحرّض الناس عليهم . وهذا الخطاب القائم على المفارقة ينص على جزاء الخير وإبعاد الشر، والسبب الذي دعاه الى الاستعانة بهذه الصور الواضحة التي تحيد بالمتلقي عن الغموض وتكتشف الأبعاد الإقناعية لخصيصة التمثيل البلاغية عبر التنقلات التي أحدثها الخطاب بين التناص والشواهد الحية والانتقال من المعقول إلى المحسوس.

يمكن تمثيل التشبيه التمثيلي بالمخطط الآتي:

أداة التشبيه (مثل)

التشبيه المشبه (لأطفهم بأنسه) — **وجه الشبه (منتزعة من متعدد)**

المشبه به (يلاطف الخليل خليلا)

مما يتضح أن الخطب السابقة كان هدفها هو الإقناع فالخطيب البارع يعمد إلى التشبيه لتقريب صورة الشيء إلى ذهن المتلقي وهو بذلك يذكر(المشبه به) للسامعين يعرفونه ويعايشونه في بيئتهم مما يساعدهم في إيجاد الصورة التي توضح قيمة البيان العربي في ذلك العصر وتسهم الصورة في دس الحجة وترسيخها في ذهن المتلقي، وعليه يُعدُّ التشبيه من أبرز الصور البيانية تواترًا في النصوص، فهو يشكّل القاعدة الأساس في بناءها الفني،اذ يعد في كثير من نصوص النوادر صور وحجة معا، لذا احتل مكانة لديه اتسمت بالتنوع على وجه العموم وتمثل غرضها الواضح في الإقناع.

المبحث الثالث

الدور الإقناعي للكناية

يعمد الأديب إلى الكناية للتعبير عن دلالات ومعانٍ بليغة تهدف إلى ترك التأثير في المتلقي، إذ يقوم على ستر الشيء بحجاب ما لإخفاءِ أمرٍ مقصودٍ من المتكلم والسبب الذي يعزى لجوئه لهذا اللون البياني يعود لكون الكناية قائمة على التلميح بدل التصريح، وتعرف لغة بأنها:((كني: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرًا

---

(1) المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي، ص152-153.

(2) المفارقة: وهي صفة لغوية ماهرة وذكية بين صانعها وقارئها تمثلت المفارقة وسيلة للتعبير حملت الكثير من المواقف والقضايا، إذ مثل الإنسان محوره الأول بوصفه الطرف الاساس في جدلية الوجود .ينظر: المفارقة ، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول ، ع3-4، 1987، ص132.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

وتعظيمًا، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها. والكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره. وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه أما في الاصطلاح فتعرّف:((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلًا عليه...))[1].

يدور مفهوم الكناية على ضوء الدلالة اللغوية والاصطلاحية في فلك واحد وهي إشارة المتكلم عن أمر لا يصرّح به، بل يكتفي بإيراد لفظ آخر دالًا عليه.وتتميز الكناية في كونها تعمل على تقديم المعنى البلاغي مع تقديم الدليل عليه، إذ إنها تبرز المعقول في صورة محسوسة تترسخ في ذهن المخاطب وتترك الانطباع الجمالي في ذهنه فضلًا عن الصبغة التي تتميز بها في إعطاء الألفاظ سحرًا من القبول في النفس وتزيدها جمالًا ولا يقتصر تواجد الكناية في النصوص والخطابات الرونقية البهية، بل ايضا يعمد إليها من يريد إيصال فكرة عن شخص بما لا يليق التعبير عنه[2]، وهذا جله يوضح المرونة التي تتحلى بها الكناية في إيراد المعاني المتخاطرة .إنَّ من دواعي استعمال الكناية وتوظيفها في الخطاب، إمّا التنبيه على عظم القدرة كما في القرآن الكريم أو لتفطين المخاطب على أمر غفل عنه كما في الخطب الإصلاحية الوعظية أو لشيء يفحش ذكره في السمع، فيكنى عنه بما لا ينبو عن الطبع[3]. ويتبلور البُعد الإقناعي للكناية عبر تعبيرها الوافي وانصياعها لإرادة المتكلم، فهي تعبّر عن الانفعالات في خطاباتها لأنها تحمل الفعل الإقناعي الذي يحدث التأثير من جهة والإثارة من جهة أخرى تستفاد الكناية الإقناعية من هذه الصورة الحسية عبر مساندتها الدعوى التي تقوم على الحجة والبرهان، إذ إنها ترد الشاهد المناسب لصحتها فتخلق الجو الذي يفتح مجال الفهم والتأويل ليستخلص المتلقي النتيجة التي يطمح اليها الباث/المرسل، وبهذا ينزاح عن التصريح ويتجنبه لأنه الأضعف حِجاجيًا. لذا تُعدُّ الكناية من الأساليب التي تقيم الحجة على المخاطب من دون أن يحس أنه المقصود.كذلك تعود أهميتها إلى أنها تعتمد على الدليل والبينة في ادعاء أمر ما، وهذا ما يسمى بالمسلك الاستدلالي، وعلاقة الأنظمة العقلية ومحاورتها [4].بهذا تكون الكناية لون يضاف إلى عدة خطابات ابن الجوزي ذات الأساليب المتنوعة، إذ نراه لا يغفل قيمة هذا اللون الذي يتكاثف وينتشر ليسبل ستار التخفي على خطاباته والغاية لا تعزى الى جمالها وزينتها لأن هذه الغاية تبعد القول عن الإقناع وتحيله إلى الاهتمام بالتزيين اللفظي المجرد. وقد أكثرَ ابن الجوزي من استعمال الكناية عن صفة المضمرة في هيئة تصويرية تعتمد على الرموز في مخاطبة الجمهور لأنه على دراية تامة أن الكناية تؤدي الوظيفة المناطقة عبر السياق في اعتمادها على التلميح بدل التصريح .

تأتي الكناية في خطاب آخر :**((يا من توالت عليه أخلاط الخطايا حتى رمي في شمل شبابه بالكمد(*) يا من خطاياه اكثر من الحصى عدد ليت شعري من قطعك عن رفاق من تهجد اكلت الحرام ونمت وما أسهم بسهم لمن رقد، أما ترى الشباب كيف صدر والمشيب كيف ورد اما ترى كيف احتوى على القوي واستبد كأني بك يا أخي وقد برق البصر(**) لهول ما يشهد وخرس اللسان وغلب على**

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص66.

(2) ينظر: المعاني الثواني عند عبد القاهر الجرجاني، من خلال الكناية والاستعارة والتمثيل، طاهر القحطاني، بحث منشور في مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع23، 2000، ص452.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم،دار التراث،مصر،ط3 ،1984م. ج2، ص302-305.

(4) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 70-73.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 120) 2023, pp. 403-419

القلب الكمد وصمت الآذان وزاد في ظهوره الالم واد وانتزعت الروح بهول ما تتوهمه أو ما هو اشد الملك يقول ما قدم والوارث يقول ماخلف من سيد أو لبد(***)))[1].

أكثرَ ابن الجوزي من الاتكال على الكناية في هـــذا الخطاب غايـــة منـــه لرفع التصريح عن المعنى الحقيقي لأن عبر هذا التلميح في المعنى تبرز حِجاجية الكناية وقوتها الاقناعية وقد وردت الكناية عن صفة في قوله (أكثر من الحصى عدد) كناية عن كثرة الذنوب ، أيضًا في قوله: (أكلت الحرام) كناية عن موصوف وهو الربا الذي حرمه الله ورسوله ولعن آكله أن أسلوب التصوير الوارد في هذا الخطاب قائم على الرمز[2] قد لا يعتقد البعض ان الربا يدرج ضمن الرموز، إلاّ أن غاية ابن الجوزي الإقناعية (الهداية) قد تجعل من الربا رمزًا. وهنا وجب التنبيه على تمكن الخطيب في إيراده لمجموعة من الكنايات عن صفة التي جاءت مقرونة بالحواس المعقولة في قوله: (برق البصر) كناية عن الدهشة، وقوله:(خرس اللسان) كنايـــة عن عقد اللسان وعجـــزه عـــن الكلام ، وقوله: (صمت الآذان) كناية عن عدم فائدة الكلام لأن أهوال يوم القيامة أسكتته وأعطته الصمتة فلم ينطق. لقد اعتمد ابن الجوزي من إيراده لمجموعة من الكنايات التي تدرج ضمن علاقة التداعي القائمة على درجة من درجات التلويح[3]، إذ لا يصعب على المتلقي استعراض لمعنى المجازي لمجرد سماعه لفظ الكناية. وينتقل إلى الندم الذي يعتري الإنسان المقصر في قوله: (غلب على القلب الكمد) كناية عن الندم والغرق في الهم والحزن، وترد الكناية ايضا في قوله: (انتزعت الروح) كناية عن المعاناة وهذه الكنايات خلقت جمل من الحجج القائمة على خرق الدلالة الحقيقة لضمان حدوث الإقناع والتأثير في المتلقي. ونلحظ اعتماد الخطيب على الإكثار من إيراد صفات لأهوال يوم البعث فضلًا على أن الصفة تعطي سبب قوي مضاف إلى الحجة في دعواه، واستدعى هذا التعبير دليلًا يزيد المعنى دعمًا في بيان أهمية اليقظة من الغفلة ومراجعة النفس قبل فوات الأوان.

ولتوضيح ذلك نورد المخطط الاتي:

المعنى الحقيقي	الكناية
أكثر من الحصى عدد	كثرة الذنوب
أكلت الحرام	الربا
برق البصر	الدهشة
خرس اللسان	عقد اللسان وعجزه
صمت الآذان	عدم الفائدة من الكلام

(*)الكمد: هم وحزن لا يستطاع إمضاؤه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة(كمد)،ج3، ص 381.
(**) برق البصر: دهش فلم يبصر ،وتحير فلم يطرف، ينظر: لسان العرب، ابن منظور ، مادة (برق)،ج10،ص 15.
(***) اللبد: الكثير. ومال لبد: كثير ولا يخاف فناؤه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة(لبد)،ج3، ص387.
[1] المورد العذب في المواعظ والخطب ابن الجوزي، ص112.

[2] هو الكناية التي تتميز بشيئين: قلة الوسائط وخفاء المدلول، ص220.
[3] بمعنى كثرة الوسائط ووضوحها فهي تقوم على علاقة واضحة بين الدال والمدلول. ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981، ص 213.

غلب على القلب الكمد	الندم
انتزعت الروح	المعاناة

يختم الخطيب كتابه بنص كنائي معبِّرًا عن أزلية كتاباته الإصلاحية الوعظية بعبارة الخط باقي قاصدا خطبه مما يجب التنبيه عليه في قوله :

.... ((الخط باقي ..... والعمر فاني))[1]....

وعليه نتوصل إلى أن الصورة البيانية لها وظيفة تأثيرية مهمة توجه دعوى الخطاب من خلال انتاجها لمجموعة من الانفعالات ((تفضي إلى اذعان النفس بتبسيط أمر من الأمور أو تنقبض عنه عن غير رؤية وفكر واختيار))[2]، ولا شك أن هذا التأثير الذي تحدثه جعلها ممهدا للإقناع ومؤسسًا له ورافدًا مهمًا من روافده والتي استدللنا عليه عبر حديثنا فيما سبق عن الألوان البيانية الواردة سواء(استعارة، تشبيه، كناية).

الخاتمة:

لقد عكس البحث مفهوم الاقناع الذي يتصل بالحجاج ودوره في إيصال الهدف من الاستعانة بالاساليب البيانية عبر دراسة خطب من التراث العربي اذ بدأت الدراسات في الدخول الى عالم بلاغة الاقناع بعد الخوض الذي حصل للبلاغة على يد العديد من العلماء وهذا فتح للباحثين الخوض بتقنياته من اجل دراسة النصوص الادبية ، وبعد ان قدم البحث تحليل نماذج مختلفة لبعض الخطابات التي تصب نحو الاقناع بغض النظر ان كانت منفردة بدراستها او صائبة الا انها حاولت دراسة زاوية نظر شبه جدية ، فضلا عن انعكاس اللغة التي كشفتها عند ابن الجوزي فنراه تارة يعمد الى اللغة البسيطة الممتنعة وتارة اخرى يترفع بمستوى لغته فيستعملها استعمالا جزلا متكلفا وتكمن الغاية من وراء ذلك ارادته في مخاطبة العالم بعلمه والجاهل بلغته فقد حاول خطيبنا أخذ البلاغة بعيدة عن أدبية النصوص وماتحمله من جمالية والعبور بها الى درجة التأثير واستنتاج المقاصد وراء النصوص فنلاحظ التعداد الصوري الذي هيمن على خطاباته وهذا ينطوي على نجاعة البيان ومرونته في تحقيق الاستمالة فضلا عن تعدد المصادر التي استسقى منها خطيبنا نصوصه فبين مصدر حسي يشتغل على العامل النفسي للمتلقي من اثارة العاطفة او التركيز على المشاعر التي تجذبه عبر اساليب البيان من استعارة وتشبيه وكناية، وبين جلب نماذج حية من المجتمع والبيئة المواكبة للسامعين لتحقيق الاستمالة العقلية وجعل المخاطب مفكرا ذهنيا ليتوسل الى الاقناع ، فضلا عن المصادر الدينية التي وظفها وتتوزع بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وايضا المصادر الثقافية التي عبر عنها ابن الجوزي من قراءاته المتوسعة وثقافته الشخصية لكونه يتردد الى عامة الناس بكافة اصنافهم فهذا يكسبه قدرة على المحاورة ، نحى بالاستعارة منحى تخيليا صرفا اضافة للرؤية الجمالية ، والتشبيه الذي ارتكز على تقريب الفكرة ، والكناية التي عمدت الى التلاعب بالالفاظ وتراسل المعاني ، وهذه الاساليب جلها تصب على تحقيق الاقناع.

---

[1] المورد العذب في المواعظ والخطب، ابن الجوزي، ص 527.

[2] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، ص69.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا : الكتب

- أساليب الاقناع في المنظور الاسلامي، طه عبد الله السبعاوي،دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005م.
- الاستعارة الحية، بول ريكور،تر:محمد الولي، ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2016.
- البرهان في علوم القرآن،الزركشي،تح: محمد ابو الفضل ابراهيم،دار التراث،مصر،ط3 ،1984م.
- بلاغة الخطاب الاقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن مودن، دار كنوز المعرفة، الاردن – عمان،ط1، 2014م.
- البلاغة الواضحة،علي الجرامي ومصطفى أمين، دار المعارف، مصر ،ط2، 1957م.
- بنية اللغة الشعرية، جون كوهين، تر: محمد الوالي، محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ، 1986م.
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع،مصر، ط1، 2010م.
- التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1998م.
- الحجاج في التواصل، فيليب بروتون،ترجمة: محمد مشبال عبد الواحد التهامي العلي، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2013م.
- خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981م.
- خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، اربد- الاردن،ط1، 2014م.
- الخطاب والحجاج، الدكتور أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر،لبنان، ط1، 2010م.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 5 ،2004م.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ،لابن بسام ،تح:احسان عباس،دار الثقافة،لبنان ط1 ،1997.
- الصورة البيانية في الموروث البلاغي، حسن طبل، مكتبة الايمان، مصر، ط1، 2005.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط4، 1993.
- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 1985م.
- عندما نتواصل نغير (مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، عبد السلام عسير، افريقيا الشرق، المغرب،دط، 2006م.

●في الشعر، ارسطو طاليس،تر:عياد شكري محمد، دار الكتاب العربي، مصر، 1967م.
●الكامل في اللغة والادب، أبو العباس محمد المعروف بالمبرد (ت285هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.
●كتاب أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني-القاهرة، ط1، 1991م.
●لسان العرب: الإمام العلامة أبو الفضل جمال بن مُحمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر، لبنان، 1968م.
●المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت911ه)، دار القدس، القاهرة، ط1، 2009م.
● المصباح والسفينة (دراسة في التشبيه البليغ في كتاب نهج البلاغة للامام علي((عليه السلام))،عبد الهادي خضير، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق، ط1، 2018م.
●المعجم الادبي، عبد النور جبور، دار العلم للملايين ، لبنان، ط1، 1979م.
●معجم علوم العربية، محمد التونجي، دار الجيل، لبنان، ط1، 2003م.
●منهاج البلغاء وسراج الادباء ،حازم القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب بن الخوخة وتقديمه،دار الغرب الاسلامي،لبنان ،1986م.
●المورد العذب في المواعظ والخطب ،ابن الجوزي،تحقيق د.اروى سمير مجذوب،دار التبيان للطباعة والنشر، لبنان،2013م.

ثانيا:الدوريات

●المعاني الثواني عند عبد القاهر الجرجاني، من خلال الكناية والاستعارة والتمثيل، طاهر القحطاني، بحث منشور في مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع23، 2000،
●المفارقة ، نبيلة ابراهيم، مجلة فصول ، ع3-4، 1987.

ثالثا: الرسائل والاطاريح:

●الاقناع في كتاب البيان والتبيين، فالح عبد الله شلاهي، اشراف أ.د.عبد الباقي بدر الخزرجي ، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، 2016م.

Sources and references

The Holy Quran

First: the books

• Methods of Persuasion in the Islamic Perspective, Taha Abdullah Al-Sabawi, Dar Al-Kutub Al-Scientific, Lebanon, 1st Edition, 2005.
• Live Borrowing, Paul Ricoeur, Tar:Mohammed Wali, Dar Al-Jadeed Al-Kitab United, Lebanon, 1st Edition, 2016.
•Proof in the sciences of the Qur'an, Al-Zarqashi, Tah: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Heritage, Egypt, 3rd, 1984.
• The eloquence of persuasive discourse towards a pure conception of discourse rhetoric, Hassan Modin, Dar Treasures of Knowledge, Jordan - Amman, 1, 2014 AD.

•Clear rhetoric, Ali Al-Jurami and Mustafa Amin, Dar Al-Maarif, Egypt, 1957.
•The Structure of Poetic Language, John Cohen, TR: Muhammad Al-Wali, Muhammad Al-Omari, Towiqal Publishing House, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1986.
•Acting and borrowing in science, poetry and philosophy, Chaim Perlman, translated by Hamo Al-Naqari, within the pilgrims' concept and fields, supervised by Hafez Ismaili Alawi, Dar Al-Alam Al-Modern Books, Jordan, 1st Edition, 2010.
Pilgrims in Communication, Philip Broughton, Translated by Mohamed Mashbal Abdel Wahid Al-Tuhami, National Center for Translation, Egypt, 1st Edition, 1998.
• Pilgrims in the Qur'an through its most important structural characteristics, Abdullah Soula, Menouya University - Tunisia, Publications of the Faculty of Arts, 2001.
• Characteristics of style in longings, Mohamed El Hadi Trabelsi, Tunisian University Publications, Tunisia, 1st Edition, 1981.
• The speech of pilgrims and deliberation, a study in the literary product of Ibn Badis, Abbas Hachani, the modern world of books, Irbid, Jordan, 1, 2014.
•Al-Khattab and Hajj, Dr. Abu Bakr Al-Azzawi, Al-Rehab Modern Foundation for Printing and Publishing, Lebanon, 1st Edition, 2010.
• Signs of Miracles: Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Mohammed Al-Jarjani, read and commented on it: Mahmoud Mohammed Shaker, Al-Khanji Library - Cairo, 5th Edition 2004.
• Ammunition in the beauties of the people of Al-Jazeera, Laban Bassam, Tah: Ihsan Abbas, Dar Al-Taq, Lebanon, 1st Edition, 1997.
• Graphic image in the rhetorical heritage, Hassan drum, Al-Iman Library, Egypt, i 1, 2005.
• Controls of Knowledge and the Origins of Reasoning and Debate, Abd al-Rahman Hassan Habanka, Dar al-Qalam, Damascus, 4th edition, 1993.
• Al-Tarrat, Al-Alawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Lebanon, 1st edition, 1982.
• Ilm Al-Bayan, Abdel Aziz Ateeq, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Lebanon, 1st edition, 1985 AD.
•When we communicate, we change (a cognitive deliberative of communication mechanisms and pilgrims), Abdel Salam Aseer, Africa East, Morocco, Dtt, 2006

• Al-Kamel in Language and Literature, Abu Al-Abbas Muhammad, known as Al-Mubarrad (d. 285 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1, 1987 AD.
•The Book of Secrets of Eloquence: Abu Bakr Abdul-Qaher bin Abdul-Rahman bin Muhammad Al-Jarjani, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press - Cairo, 1, 1991
• The Proverb in the Literature of the Writer and Poet, Dia al-Din Ibn al-Atheer (d. 630 AH), achieved by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, part 1, the Modern Library for Printing and Publishing, Lebanon, d.T, d.T.
• Al-Mizhar in Language Sciences and its Kinds, Jalal Al-Din Al-Suyuti (d. 911 AH), Dar Al-Quds, Cairo, 1, 2009 AD.
• The lamp and the ship (a study of the eloquent analogy in the book Nahj al-Balaghah of Imam Ali ((peace be upon him)), Abdul Hadi Khudair, Nahj al-Balagha Science Foundation, Iraq, 1, 2018 AD.
• Literary Dictionary, Abdel Nour Jabbour, Dar Al-Ilm for Millions, Lebanon, 1, 1979.
• Dictionary of Arabic Sciences, Muhammad Al-Tunji, Dar Al-Jeel, Lebanon, 1, 2003 AD.
• Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adaba, Hazem al-Qartagni, investigated by Muhammad al-Habib Ibn al-Khoukha and presented, Dar al-Gharb al-Islami, Lebanon, 1986 AD.
• Al-Mawred Al-Atheb in Sermons and Speeches, Ibn Al-Jawzi, Investigated by Dr. Arwa Samir Majzoub, Dar Al-Tibyan for Printing and Publishing, Lebanon, 2013.

Second: periodicals

• The Secondary Meanings of Abdul Qaher Al-Jarjani, Through Metaphor, Metaphor, and Representation, Taher Al-Qahtani, research published in the Journal of the College of Humanities and Social Sciences, p. 23, 2000,
• Paradox, Nabila Ibrahim, Fosoul Magazine, 3-4, 1987 AD.

Third: Letters and Theses:

• Persuasion in the Book of Al-Bayan and Al-Tabeen, Faleh Abdullah Shalahi, supervised by Prof. Dr. Abdul-Baqi Badr Al-Khazraji, Al-Mustansiriya University, College of Arts, 2016